زكاة المال وزكاة الدخل

وقد جدت فى هذا العصر مشكلات مالية ، لايجوز أن نقف أمامها مكتوفى الأيدى كما لاينبغى أن نتراخى فى وضع حلولها ، حتى لايضطرب الناس فى أمر دينهم . من ذلك نظام الزكاة . فالزكاة ركن من أركان الإسلام الأولى ، ومن دعائم أوضاعه الاقتصادية التى يكفر من جحدها ويحارب مع المرتدين من منعها . وأنصبة الزكاة فى صنوف المال حددها الدين تحديداً يعتبر نصاً فى أكثر الأحوال . ونريد أن نعتبره قياساً فيما سنورده من أمثال ونظائر .

ولبيان ذلك نقول : إن الإسلام أوجب إخراج ربع العشر من رأس المال الذى يبلغ مائتى درهم فما فوق . والزكاة فى هذه الصورة معتبرة برأس المال فقط زاد أو نقص أو بقى على حاله مادام قد مر عليه العام .

وقد فرض الإسلام كذلك زكاة فى الزروع والثمار ، جعلها العشر أو نصف العشر .

والزكاة فى هذه الصورة قد اعتبرت على أساس الدخل الناتج ، مر عليه العام أو لم يمر ، ولا عبرة فيها برس المال المُغلّ ، وهو الأرض المزروعة قلت قيمتها أو عظمت .

ومن هنا نستطيع الحكم بأن قاعدة فرض الزكاة فى الإسلام قد تكون رأس المال ، وقد تكون مقدار الدخل . ونخلص من هذا إلى أن من له دخل لايقل عن دخل الفلاح الذى تجب عليه الزكاة ، يجب أن يخرج زكاة مساوية ، ولا عبرة ألبتة برأس المال ، ولا بما يتبعه من شروط ؛ فالطبيب والمحامى والمهندس والصانع وطوائف المحترفين والموظفين وأشباههم تجب عليهم زكاة ، ولابد أن تخرج من دخلهم الكبير ، ولنا على ذلك دليلان الأول : عموم النص فى قول القرآن

الكريم « يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض » ، ولاشك أن ربح الطبقات الآنفة كسب طيب يجب الإنفاق منه ، وبهذا الإنفاق الواجب يدخلون فى عداد المؤمنين ، الذين ذكر القرآن أوصافهم : « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » .

والدليل الثانى : أن الإسلام لايتصور فى حقه أن يفرض الزكاة على فلاح يملك خمسة أفدنة ، ويترك صاحب عمارة تدر عليه محصول خمسين فداناً ، أو يترك طبيباً يكتسب من عيادته فى اليوم الواحد ما يكسبه الفلاح فى عام طويل من أرض إذا أغلت بضعة أرادب من القمح ضربت عليها الزكاة يوم الحصاد ! . .

لابد إذاً من تقدير زكاة على أولئك جميعاً ، وما دامت العلة المشتركة التى يناط بها الحكم موجودة فى الطرفين ، فلا ينبغى المراء فى إمضاء هذا القياس وقبول نتائجه .

وقد يقال : كيف نقدر هذه الزكاة ؟ وعلى أى نسبة تكون ؟

والجواب سهل . فقد ردد الإسلام زكاة الثمار بين العشر ونصف العشر على قدر عناء الزارع فى رى أرضه ، فلتكن زكاة كل دخل على قدر عناء صاحبه فى عمله ، ومن الممكن إيضاح التفاصيل وتفريع المسائل وتحديد القيم بعد ماتقر هذا الأصل الخطير ، والأمر لايستقل به تفكير واحد بل يحتاج إلى تعاون العلماء والباحثين .

أضرار التطبيق الحرفى لنظام الزكاة

نريد أن تؤتى النصوص ثمارها فى أوسع نطاق ممكن لها ، وألا نحصرها فى حدود ضيقة ، تبقى بعدها قليلة الجدوى ، قليلة الغناء ، وإلا استطاع الأغنياء أن يخرجوا من تبعة الإنفاق المحتوم ولا لوم عليهم ؛ وضاعت على الفقراء أموال كثيرة ، الدين فى الحقيقة برىء من إضاعتها ؛ فمثلا ذكر لى أحد التجار أن لديه ٢٠٠٠ من الجنيهات رصيداً لعمله ، وأنه يجب عليه أن يخرج عنها ٥٠ جنيهاً وهو القدر الواجب إخراجه للزكاة — فإذا اشترى بهذين الألفين بيتاً واستغله بطريق الإيجار فهل تجب عليه زكاة ؟ والقواعد الموضوعة الآن توجب إخراج الزكاة عن الألفين الموضوعين فى الخزائن لا يكسبان شيئاً . ولا توجب إخراج زكاة ما عن الألفين اللذين يكسبان الكثير عند ما وضعا فى بيت للايجار .

وهذا أثر من آثار التطبيق الحرفى لنصوص الزكاة ! ! وهناك أصحاب العزب التى تؤجر لصغار الفلاحين . يأخذ الملاك الألوف المؤلفة منها وهم لم يعملوا يدا ولم يغبروا قدما وينفقون ما يصل إلى أيديهم عن آخره فلا يكاد يبقى منه شىء لأنهم موقنون بأن ستجبى إليهم ثمرات كل شىء ... وهؤلاء لا تجب عليهم زكاة بينما تجب الزكاة على المزارعين الكادحين فى أملاكهم المتعبين طول العام فى السعى وراء أرزاقهم .

وهذا أثر من آثار التطبيق الحرفى لنظام الزكاة ! ! وهو مالا يعقل أن يقره الدين . ولو عرضت هذه الصور للأئمة المجتهدين الأوائل لكانت لهم فى ذلك آراء حاسمة ولانماع من الفقه الإسلامى هذا الجمود الذى لا يزال يقرر أن أقل نصاب تجب فيه الزكاة من الفضة مائتا درهم ، ومن الذهب عشرون مثقالا مع وحدة النقد فى هذه الأيام وضرورة تساوى القيم من الذهب والفضة وغيرها ! !

على أن إثارة الكلام حول أنصبة الزكاة وقيمها لا يغير من معنى الزكاة الذى أشرنا إليه فى فصل سابق ؛ فهى محدودة المصرف والغرض وميزانيتها ضاقت أو اتسعت لا تنفق إلا فى مشروعات البر والإحسان التى أشار إليها القرآن . أما كيان الأمة الاقتصادى وما يتصل بهذا الكيان من تحقيق للعدالة الاجتماعية ، ونشر للفضائل ومحو للرذائل وتعميم للثقافة وعناية بالصحة العامة وتنفيذ للمشروعات العمرانية ودفاع عن البلاد وحماية لمقومات الإنسانية ومثلها العليا وجهاد فى السلم والحرب لذلك كله ؛ فهذا لا صلة له بنظام الزكاة . وإنما تؤخذ الأموال اللازمة له من شتى الضرائب والالتزامات التى تفرضها الدولة كيف تشاء ومتى تشاء .

الأوضاع الاقتصادية

لله حق فى مال الإنسان فهو واهبه الأول ، وللجماعة حق فى مال الإنسان فهى البيئة التى نبت فيها وعاش فى جوها وخدمته شتى عناصرها خدمة مباشرة أو غير مباشرة فلها أن تتقاضى ثمن ذلك ، وكما أن حرية الإنسان الشخصية مقيدة بألا يضار منها المجتمع ، فكذلك حريته المالية ، فللمجتمع أن يتدخل فى مال الإنسان التدخل الذى تملى به الاعتبارات الدينية والمدنية التى يراها لازمة لاستقامة الأمور وإقرار المصلحة ، ولما كان رأى الدين أن الضرورات تقدر بقدرها فمدى تدخل المجتمع فى مال الفرد يضيق ويتسع على ما توحى به مقتضيات الأحوال العامة فإطلاق الملكيات أو تقييدها ، ووضع حد أعلى أو أدنى للضرائب على رأس المال أو على الدخل ، وجعل المرافق العامة ملكا للدولة أو للأفراد ، هذه كلها أمور يخضعها الدين لحاجات الناس وأطوار الزمن ، ولنا أن ننظر إلى حاجات شعبنا ومطالب عصرنا

وأحوال وطننا ونضع لأنفسنا مانشاء من النظم الاجتماعية والاقتصادية التى نراها كفيلة بتحقيق أهدافنا الكبرى فى ميادين الإصلاح العام .

والشعب فى الحقيقة يدفع باليمين ما يأخذ بالشمال . فما يؤخذ منه يرد عليه وينفق فى مصلحته ولا يجوز ألبتة أن تستغل أموال الشعب فى النواحى الشخصية لأحد ، لينفق منها على زينته ويسرف على أبهته . فما لهذا تشرع الضرائب ويحل جمعها والحكومة الصالحة هى التى ترتب أبواب ميزانيتها لخدمة الشعب والنهوض به ورفع مستواه . وإن كنا للأسف نرى مسارب المتع الشخصية لا آخر لها فيما تنفقه الحكومات باسم الشعب .

وخطط الإصلاح التى رسمناها توجب علينا — دينا ودنيا — أن تشكل أوضاعنا الاقتصادية على نحو جديد ، إن كنا حقا جادين فى دفع غوائل الفوضى والفساد عن بلادنا... وأمامنا صورحية وبرامج مدروسة ، وأنظمة مطبقة فى كثير من أقطار الأرض يجب أن نقتبس منها ما نقيم به العوج ونحسم به الداء . ونقترح — على سبيل المثال لا على سبيل الحصر — الحلول الآتية لإنهاء مشاكلنا السياسية والإجتماعية والأخلاقية .

(١) « تأميم » المرافق العامة وجعل الأمة هى المالكة الأولى لموارد الاستغلال وإقصاء الشركات المحتكرة لخيرات الوطن أجنبية أو غير أجنبية ، ومنع أى امتياز فردى يعطى من هذا القبيل .

(٢) تحديد الملكيات الزراعية الكبرى وتكوين طبقة من صغار الملاك تؤخذ نواتها من العمال الزراعيين .

(٣) فرض ضرائب على رءوس الأموال الكبرى يقصد بها تحديد الملكيات غير الزراعية .

(٤) تسترد الأملاك التى أخذها الأجانب وتعاد إلى أبناء البلاد ، ويحرم تملك الأرض المصرية على الأجانب تحريماً مؤبداً .

(٥) تربط أجور العمال بأرباح المؤسسات الاقتصادية التى يعملون فيها بحيث تكون لهم أسهم معينة مع أصحابها فى الأرباح الأخيرة .

(٦) تفرض ضريبة تصاعدية على التركات تنفق فى وجوه الخير على النحو الذى أشار به القرآن « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا » .

هذه خطوط صغيرة نمهد بها لجعل الأمة طبقات متوازنة لا طبقات متعادية ، ونختم بها المآسى المريرة التى تمخض عنها نظام الطبقات المعروف بمظالمه ومخازيه .

ثم يجب بعدئذ أن تمحى الأمية محواً تاماً وأن تعمم مراحل التعليم الابتدائى والثانوى ، وأن يجبر كافة الأفراد على الانتظام فى التجنيد العسكرى وأن تتكافأ الفرص أمام أبناء الأمة جميعاً فى أخذ نصيبهم من الحياة الصحيحة ، وأن تلغى الألقاب الجوفاء فلا تبقى إلا الألقاب العلمية والعسكرية ونحوها ، وأن تصادر ضروب التحلل الخلقى والإلحاد الدينى ، وأن يعنى بتربية الطفولة تربية طيبة وتوجيه الرجولة توجيهاً سديداً فاضلا . وأن تتضخم ميزانية الدولة لتنفيذ هذا المنهاج فلا يجوز أن تكون هناك عوائق اقتصادية تحول دون أن تنتفع به الأمة وترتفع ولو لم يبق لكل فرد من أفراد الشعب إلا قوته الضرورى لما جاز أن تتراجع الدولة فى تحقيق هذا البرنامج الذى تعلن به الحرب على الظلم والجهالة والاستعمار ! ! .

أجل فلتفرض الدولة على الأملاك ما تشاء من القيود وعلى الأموال ما تشاء من الضرائب وعلى الأوضاع الاقتصادية ما تشاء من الأنظمة ، فإن الدين ظهيرها فى هذه الوسائل السهلة أو الصعبة ما دامت تريد من ورائها حماية جمهور الشعب من أن يسقط فريسة سهلة للاستعمار الداخلى أو الخارجى على السواء . . ! !

وفى سبيل الإبقاء على كيان الأمم يهون البذل عن سعة وسخاء . !

حقائق مؤسفة

كنت أتردد على الريف بين الفينة والفينة بغية الاستجمام فما أدركتنى قط عواطف الشعراء حين كنت أعيش بين أهله وأخالطهم عن كثب. وما فرج عن قلبي ما يتوهم وجوده هناك من الماء والخضرة والوجه الحسن ! . فإن نظرتى للأشياء واقعية اقتصادية لا أثر فيها للخيال ، ولا تطلع فيها للجمال . . الماء ؟ إنه عكر يشربه الناس ويشربون معه شتى الجراثيم . فهو للارتواء وللداء معاً !

والخضرة ؟ إن هذه الزروع اليانعة يمشى فى ظلالها المستأجرون الهلكى أو الملاك المدينون وعلى ملامحهم من غبار الأرض قتام حافل بالنذر من المستقبل المريب ! وحتى الدواب سرت إليها هى الأخرى العدوى فهى عجاف ساهمة ، برغم نشاط وزارة الزراعة فى تلقيحها بالأمصال الواقية . . والوجه الحسن ؟

أين ترى الوجوه الحسان بين هذا الماء وهذه الخضرة ؟ إن الجمال الإنسانى مسخ فى فتيان الريف وفتياته فالكثرة الساحقة من الرجال والنساء فيها صور مجملة لأبناء آدم أما الملامح التفصيلية ففيها تحريف كثير ودمامة بادية والتواء ترك على الجبين الكادح عروقا نافرة ، وعلى الوجوه الساهمة غضوناً غائرة ، ثم هناك شلل فى نماء هذه الأجسام قلما ترى معه الهامات الفارعة والعضلات الحافلة . ولولا إلغاء الجيش المرابط لرأينا فى شوارع المدن « عينات » كثيرة لهذه التعاسة السائدة خفف من شدتها بعض التجميل والتصحيح الذى يفرضه النظام العسكرى ؟ تلك هى حال الريف . حال المستودع الذى تأخذ منه الدولة الرجال والأموال . بينما تترك أسباب الفناء تعمل فيه عملها الشنيع . .

* * *

فإذا تركت الريف إلى المدن وجدت مظاهر الرخاء والنعمة منتشرة هنا وهناك ، ولكن حظ المصريين فى هذا كله ضئيل . إذ أن الميادين والشوارع الكبرى تكاد تكون وقفاً على رءوس الأموال الأجنبية ، ولسنا ننفى أن للوطنيين حظا فى هذه الأعمال والمشروعات الضخمة غيرأن الأجانب يظفرون منها بنصيب الأسد . ولاتزال الأحياء الوطنية أمثلة باقية ناطقة بالفوضى العمرانية والهوان المادى والأدبى الذى تعيش فيه جمهرة الشعب . وكم فى الغرف الحقيرة والأزقة المظلمة والخرائب المتهدمة من كفايات مقبورة وعزائم مقهورة ونفوس نسيت النور من طول ما قبعت فى الظلام .

عندما كنت أزور « مصر الجديدة » كان يلفت نظرى ما يبدو على هذا الحى الفخم من سعة وجمال ونظافة ، وما يستمتع به أهلوه من راحة وطمأنينة ، وتذوق للحياة الطيبة . وليس هذا ما أريد أن أسجله إنما الذى أريد تسجيله ، أنه إلى جانب هذه القصور الشاهقة ، والمبانى الرائعة ، توجد أرض أخرى عليها بيوت كأوكار الثعالب ، وفيها وحشة كأنما خلعت عليها من صمت القبور ، يقطنها أقوام عضهم البؤس ولفهم فى أرديته الكئيبة . وهذه الأرض بما عليها من جدران وقطعان تسمى — عزبة المسلمين ! — والحق أن هذه التسمية تترك فى القلب ألماً مضاً وأسفاً عميقاً ! . . وتجعل الرجل يخجل من نفسه ، ومن جماعته ، ومن دولته . . وتجعله يشعر بما فى هذه التسمية من غمز وتحقير ، لا لمسلمى مصر فحسب ، بل للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها !

ولعل سر هذه التسمية أن شركة أجنبية هى التى تولت بناء الجزء الفخم فى الحى الفخم ، تاركة لنا أن نعمر عزبتنا الحقيرة بأيدينا إن استطعنا التعمير . ونحن مذهولون عن ذلك لأننا مقيدون بميراث ثقيل من سوء الفهم فى الدين والدنيا جميعاً . . مشغولون عن التعمير المادى

والأدبى بالثرثرة الإصلاحية والألاعيب السياسية والمشاغل الشخصية . ولا علينا أن تكون منزلتنا الاجتماعية ممثلة فى عزبة إلى جانب قصور . فإن منزلتنا السياسية فى العالم منزلة الخرب من المعمور ، أو الظلام من النور . .

* * *

وقالوا إن الحكومة صح عزمها على مكافحة الجهل والفقر والمرض وسواء كان الغرض من هذه المكافحة تأمين البلاد ضد الشيوعية . أو قطع حجة الإنجليز فى صلاحية مصر للاستقلال . أو الرحمة الحقيقية بعباد الله من أن تأتى على بقيتهم أخطار هذا الثالوث الوبيل . أيًّامًّا كان الأمر فإن هذا عزم نسر به ، ونرجو أن يأخذ طريقه إلى الحياة والنماء ، لكن بوادر التنفيذ إلى الآن توحى بأن الأمر هزل لا جد . والدعاية الطويلة التى سبقت مشروع المكافحة ، لم تتمخض عن أمر ذى بال ، فقد وكل إلى « الروتين » الحكومى المعتاد ، وإلى بعض المجالس والمصالح المعروفة أن تقوم على إنقاذ البلاد من أخطار هذا الثالوث الفتاك ، مع أن الحالة تحتاج إلى تجنيد عام وإلى تسخير أبواب الميزانية ، جلها إن لم يكن كلها لإنقاذ الوطن من هذه الأعداء الداخلية المتغلغلة فى تربته من قديم .

إنهم لو ألفوا وزارة مختصة بعلاج هذه المشاكل على نسق وزارة الشئون الاجتماعية ، ما استبشرنا بذلك خيراً . فمشاكلنا أعقد من ذلك وأعصى على مثل هذا العلاج الضعيف ، غاية ما سيحدث أن أموالا ترصد ، وموظفين يعينون ، ومشروعات يعلن عنها ، ثم يبقى الجهل والفقر والمرض ، كما بقيت أوضاعنا الاجتماعية مختلة لم تصلحها الوزارة التى ألفت باسمها وكونت لإصلاحها .

وعند ما يذهب المريض إلى طبيب يشخص له الداء تشخيصاً مغلوطاً ثم إلى صيدلى يركب له الدواء تركيباً مسموماً ، فأنى يجىء الشفاء ، وكيف تنتظر النجاة ؟ ؟

إن الحكومات المتعاقبة تتجاهل مصدر الشر وأساس البلاء ، وهى تبذل الأموال وتسخر الرجال لغسل الظل المرسوم على الأرض ، ولا تفكر فى أن تزيل الجسم الذى يلقيه إلقاء ويثبته إثباتاً ... وقد تنكمش — لعوامل خارجة — ظلال الأحزان التى تغمر أبناء هذا الوادى ، ولكنها لن تزول إلا إذا زالت الأوضاع المعوجة ، وإلا إذا طلعت الشمس فلم تجد أشعتها عائقاً يرد عن الناس أسباب الضياء والنماء .

المجتمعات المنحطة

لا يزدهر فيها دين

جهد ضائع :

حيث يوجد الهوان المادى والأدبى ، لا يرجى خير ولا يؤمن شر . فالإنسان المغلق الخامل المحطم لا ينتفع بالدين ولا ينتفع به الدين . . ما الذى يفيده الإسلام من رجل طمست حياته وشاهت ملكاته وعاش على ظهر الأرض حفنة من ترابها أو قطعة من صخورها ؟ إن الإسلام لا يستفيد شيئاً من هذا الشخص . بل إنه يضار به ويهون فيه والإناء الملوث يزرى بأطهر السوائل ويبخس قيمتها . كذلك الشعوب العاجزة الكسول تحط من مكانة الأديان التى تعتنقها وتهبط بمستوى العقائد التى تنتمى إليها . ! !

وكما أن الدين لا ينتفع بتابعه الهين ، فإن التابع الهين لا يحسن الإنتفاع بما سيق إليه من مواريث نفيسة ولا بما أحيط به من مبادىء غالية كالجاهل الذى يلقى نفسه فى مكتبة حافلة ، أو المعمود الذى يواجه مائدة مفعمة بل إن الأتباع الحمقى كثيراً مايفرضون سفههم على أسمى

الحقائق فبدلا من أن يرتفعوا معها إلى القمة يهبطون بها إلى السفوح!!

ومن ثم يجب أن نقرر هذه الحقيقة فى علاجنا لمشاكلنا المعقدة : إن شعوب الشرق الإسلامى تحتاج قبل أن تفهم الإسلام وقبل أن ينتظر منها إعزاز الإسلام ، إلى جهود جبارة لرفع مستواها المادى والأدبى أى إلى تصحيح إنسانيتها أولا حتى إذا كونا الإنسان الذى يعقل ما يخاطب به ويعرف واجبه نحوه قلنا له: أنصر ربك ونفسك إذا شئت الحياة الكريمة فى يومك وغدك . أما جهود المصلحين قبل اتخاذ هذه الخطوة فهى أمواج من الماء تتدفق على صحراء من الرمال . . هيهات أن يكون لها ثمر ! !

ما الدين ؟

والدين فى حقيقته ليس إلا تكميلا لمشاعر الإنسان وتصحيحا لمواهبه فهو عقل يحسن التفكير وعين تحسن النظر وأذن تحسن السمع ويد تحسن العمل . . . والمؤمن على هذا إنسان ناضج الفهم والتأمل والحكم على الأمور ، إنسان جيد الإنتاج والآثار والتصرفات . . . فإذا اضطربت هذه المعانى فى نفسه اضطرب معها مصدر الإيمان فى قلبه ولبه وتقلصت معها حقيقة إنسانيته . ولا تزال طوائف من الناس تفقد إيمانها وإنسانيتها معا حتى تدمغ بوصف القرآن لها « إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » والمرء يستحيل دابة يوم يموت فيه عقله المفكر وترتكس فيه مشاعره اليقظة فيصبح غير مسئول عن سمعه وبصره وفؤاده لأنه ليس له من ذلك إلا ما للحيوان السائم ، حواس مسخرة فى أغراض الحياة الدنيا فقط . وأمثال هؤلاء هم للأسف العميق قوام الجماهير الغفيرة التى أعماها الجهل وأوهاها المرض وأهانها الفقر ، قوام الكتل الضخمة من البشر الذين يزخر بهم الشرق ولا يتقدم بهم إلى الأمام خطوة بل يتأخر بهم خطوات ، أوهم التراب الذى تبرد فيه حرارة الإسلام وتتبدد قواه كدين موجه فعال .

هذا الهوان المادى والأدبى لا ينبغى حسبانه دينا أو ظلا لدين فهو عار ولدته بيئات آثمة لاتتصل بالدين إلا إدعاء ، ولا يتصل بها الدين إلا مشوها مظلوماً مفترى عليه .

ولكى نطمئن إلى وجود ديانة صحيحة وأتباع محترمين يجب أن نسارع إلى محو كل أثارة للفقر والجهل والمرض وأن نخلق جيلا جديداً يصلح بفطرته لأداء الرسالات الكبرى وحمل أعبائها .

رجال ورجال

كلما نظرت إلى الرجال والنساء ، فى الريف البائس المكروب أو فى زحام الأحياء الوطنية بالمدن أو حيث أعمل لوعظ الناس (!) بالمساجد وأشباهها من الأندية الدينية — كنت أرى أن هناك حلقة مفقودة لابد منها ليتصل هؤلاء الناس بالدين اتصالا مجديا عليه وعليهم .

فقد يحدث أن تبذل وقتا فى تطبيب دابة جريح وأن تبذل الوقت نفسه فى إصلاح سيارة عاطلة أو طيارة مهيضة ، ولكن النتائج التى تحصل عليها من وراء هذه الجهود تتفاوت تفاوتا كبيراً ، والذى يركب الدابة بعد شفائها غير الذى ينطلق بالطائرة بعد إصلاحها .

والتبشير بالدين بين الشعوب البليدة الوانية المترنحة ، قد يكسب الدين عدداً من الأنصار الكسالى أو الأتباع السكارى ، فهل هذه الثمرة هى التى تحصل عليها لو جئت من بداية الأمر ، فعملت على فتح العقول المغلقة وإنماء المواهب المشلولة وإعزاز النفوس الكسيرة وإبراء الأكمه والأبرص ؟ فإذا قدمت للدين بعد ذلك أحداً ، قدمت له قوة يعمل بها لاعقبة يضطرب حيالها . . ! !

إن النبى صلوات الله وسلامه عليه ، وجه دعوته الأولى للعرب وهم — على كفرهم الموروث — قوة لا يستهان بها فى موازين الرجولة . أجسام لم تستنزفها الأمراض المتوطنة ، وكفايات خلقية عارمة لما كانت

فى جانب الضلال جعلته مرهوب العدوان فلما نقلها صاحب الرسالة العظمى من الغى إلى الرشاد ، جعلت الحق مهيباً ، وطوفت به فى أقطار الأرض تصارع دونه الأبطال وتزلزل أمامه الجبال .

وأمام الشعوب الإسلامية الآن مراحل من صحة الأبدان والأخلاق ومن كفاية العمل والنظام ، ومن روعة الإنتاج وإخصاب المواهب . . مراحل طويلة يجب أن تقطعها على عجل ، حتى تقف على قدم المساواة أمام شعوب الغرب الكافرة بالإسلام بل المتمردة على الديانات جملة .

إن هذه الأمم المحسوبة على الإسلام لن ترفع به رأسا ولن ترفع له علماً مادامت تعيش فى هذا الدرك من الهوان الانسانى .

قيمة العقل فى الدين

إن حدة الذكاء ويقظة الفكر واستنارة الرأى عناصر لابد منها فى تكوين الايمان الصحيح . فإن الايمان معرفة بلغت حد اليقين وانتفت معها الريبة ، وحيث لا يوجد الادراك الواضح والفهم الناضج يصبح اليقين غير ذى موضوع ! !

ولا يحسب أحد أننا بذلك نظلم البلهاء ، أو نغمط الحمق حقهم — إن صحت لهم حقوق — بل أننا نستوحى هذا الحكم من نصوص القرآن الكريم نفسه . فالعقول الذكية وحدها هى التى تستطيع اختراق أسرار الكون ومعرفة آيات الله فى شتى الأمكنة والأزمنة « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . »

والعقول الذكية وحدها هى التى تميز الحق من الباطل وتعرف حقائق الوحى من نزغات الهوى وتلفيق الضلال « أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ؟ إنما يتذكر أولوا الألباب » . . . والعقول الذكية وحدها هى التى تستفيد من عبر الماضى ، وتنتفع بتاريخ الإنسانية

الطويل ، وقصص الأبطال أو الأنذال ، من المصلحين أو من المفسدين « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب » . . . ولا تكون الحكمة فى معالجة الأمور ، والدقة فى الحكم على الأشخاص ، والمسائل والبصر بالمقدمات والنتائج إلا لأصحاب العقول الواسعة والمواهب الرائعة « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً . وما يذكر إلا أولو الألباب » وتربية العقول وإذكاء المواهب ، وتفتيق الملكات الانسانية ليس أمراً هينا فمراحل التعليم فى المدرسة ومراحل التجريب فى الحياة واستيراد الأفكار البعيدة وضم مالا نعرف إلى مانعرف والنظر فى الجديد نظرة تلطف وإيلاف ، لانظرة جمود واعتساف ، والتطويف فى آفاق العوالم المادية والأدبية . هذه جميعاً وسائل لترقية العقل الإنسانى ثم هى بعد وسائل العقل السليم لمعرفة الله ، وحسن الإيمان به والإفادة من دينه . إن عمل العقول الكليلة فى آيات الوحى هو عينه عمل الحشرات القارضة فى أوراقه عند ما يدب فيها البلى ، تتلفها ولا تعرفها وتظلمها ولا تنصفها ؟ وذاك سر التدهور الاجتماعى بين جماهير الأميين من المسلمين وغيرهم . وما أبعد هذه الكتل الأمية عن الدين ! مهما زعموا لها من إيمان العجائز ! !

نعم قديكون هناك من ذوى العقول القوية من يحيدون عن مناهج الاستقامة وأصول الفضائل ومن يتمرد على تعاليم الدين ، بيد أن هذا لا يقلل من قيمة العقل قط . ولكنه يبين لنا خطورة الشهوات الجامحة ، والأهواء التى قد تصرف المرء عن الحق وهو يعرفه ثم إن محاربة الجهل أن يطغى على العقل لاتغنى عن محاربة الفساد أن يتطرق إلى الفؤاد .

والنكسة التى أصابتنا فى تاريخنا الطويل جاءت من فساد عقول العامة ، ومن فساد ضمائر القلة الحاكمة . فإذا أصلحنا العقول بالتعليم الشامل صحا الشعب فلم يبق أمام فاسدى الضمائر متسع للبقاء ، ذلك أن

الشعوب المتعلمة قوة يجرف تيارها القذى والغثاء ... فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض فلنعمل — على عجل — لرفع المستوى العلمى ، فهذا وحده السبيل .

زعموا أن ظريفا سمع رجلا يشكو إلى الله علته ولم تكن علته من داء واحد فأخذ يسأل الله أن يشفى له بصره المرمود وبطنه الممعود وقلبه المضطرب وقدمه المختلج و . و . فقال له الظريف : يا أخى بدلا من أن يرقع فيك هذا كله يأخذك ويخلق غيرك ! هذه الفكاهة التى أداروها حول المريض المسكين ، ذكرتها فى نفسى عقب إلقاء عظة طويلة على المصلين فى مسجد السيدة زينب ، وبعد نظرة عميقة إلى العلل النفسية والعقلية والبدنية ، التى تعمل عملها فى جمهور هذه الأمة ؟

إن هناك كثيرين من أبناء الجيل الحاضر يعز على الإصلاح حالهم لأنهم مصابون من نواح شتى ، ولأن الالتواء الذى حدث فى فطرتهم يكاد يصبح فيهم خليقة ثابتة فأنت لا ترقع خرقا حتى يظهر لك فتق جديد وقديما قال رجل عجوز .

أضحى يمزق أثوابى ويضربنى أبعد شيبى يبغى عندى الأدبا ؟

إننى أنصح بالاتجاه إلى الناشئة والعناية بمغارسها حتى يتم نماؤها على خير الوجوه فإن الأجيال التى مرنت على الظلام تستغرب النور ، وما أصدق قول الله عز وجل « فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم » .

نتائج محزنة

يربو عدد المسلمين فى العالم على عدد اليهود أربعين ضعفاً ، وقد مثل هؤلاء اليهود مع المسلمين الرواية التى يمثلها اللص العادى مع صاحب البيت الوادع ، وبدلا من أن يقاد المجرم إلى التحقيق وينتصف منه لصاحب الحق المهضوم فإن اللصوصية الدولية أهدرت الحق الواضح ومن ورائه أربعمائة مليون مسلم وآزرت الباطل السافر ومن حوله عشرة ملايين يهودى لأن معسكرات السياسة الدولية القائمة على المنافع المحضة استهانت بالكثرة المحقة ولم تحرص على كسبها ولم تبال بنبذها على حين خطبت ود اليهود وسترت مخازيهم وزوقت باطلهم وحاربت فى صفهم ! ! !

ولماذا كل ذلك التجنى والجحود ؟ لأن القلة اليهودية التى تحدتنا — على كثرتنا — تسلحت بآخر ما وصل إليه العقل الإنسانى من قوى علمية ومادية فأصبحوا بين أحزاب العالم المتحفزة موضع رجاء وخوف على حد قول الشاعر .

إذا أنت لم تنفع فضر فإنما يرجى الفتى كيما يضر وينفعا

فأما المسلمون فلا تزال أحوالهم العامة تجعلهم موضع الأسى من الصديق وموضع الشماتة من العدو .

ولا ريب أن هذا الظلم الفادح الذى أوقعته بنا السياسات الكبرى قد هزنا هزآ واستيقظنا منه على قارعة أثارت الحفائظ ، ونبهتنا إلى ما ينبغى عمله لضمان مستقبلنا بعد ضياع حاضرنا .

فلنذكر أن الإسلام يجعل المسلم أهلا للنصر يوم يكون ذلك المسلم أرجح فى ميزان الحق من عشرة آخرين « إن يكن منكم عشرون صابرون

يغلبوا مائتين . وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » .

والكلمة الأخيرة فى الآية هى مفتاح الموقف . فعندما تكون النفسية الإسلامية والعقلية الإسلامية أعظم اتساعا وأطول باعا وأسبق فى ميدان المعرفة وأقدر على إنشاء الحضارة وأرسخ فى حماية المثل العليا وعندما تكون الأمية العقلية والاجتماعية فى جانب غيرنا لا فى جانبنا وعندما نوصف بالذكاء ويوصف عداتنا بالغباء ويقال فينا إننا نفقه وفى خصومنا إنهم لا يفقهون كما تنص الآية الكريمة . . . عندئذ فقط نحل قضايانا بأيدينا ، ونلزم الحياة أن تتبع قواعد العدل ، ثم تعنو الحياة لنا طوعا وكرها ، لأن البقاء للأصلح حتما . . ! !

وقبل أن نصل إلى هذه المرحلة لن يقدر المسلم أن يقف أمام عشرة بل سيحدث العكس وسينتصب اليهودى أمام عشرة منا . . . لا . بل إنه قد وقف فعلا أمام أربعين . . . ! !

لماذا ؟

ولك أن تسأل دهشا : لم تكون هذه أحوالنا وأوصافنا ؟ ولم تمضى سنة الحياة فينا على هذا النحو القاسى ؟ خلقنا من طينة غير طينة هؤلاء الذين يسودون الدنيا ويقودونها . . والجواب كلا . . فسادة اليوم هم عبيد الأمس وعبيد اليوم هم سادة الأمس . والنفس الإنسانية تذوى وتنمو وتنكمش وتمتد على حسب التربة التى تحيا فيها ! ! ولو أتيحت لشعوب الشرق الفرص التى أتيحت لشعوب الغرب لبدلت الأرض غير الأرض . ألست ترى أرجل البشر تكبر على طبيعتها هنا وهناك حتى إذا ذهبت إلى الصين حيث يلبس البعض أحذية من حديد وجدت أقداما ضامرة شل الحديد نماءها منذ الطفولة ! !

إن لدينا أنظمة هى وأحذية الحديد الصينية سواء . . أنظمة تركت وراءها حطاما من الأجيال الهامدة التى عاشت عمرها فى صراع مع الضرورات المذلة . ومثل هذا الصراع يموت فيه المنهزم موتاً ماديا ، محروما من العافية والاستقرار ، ويموت فيه المنتصر موتا أدبياً ، فأنى — يقنع فى حياته بنيل ضروراته — الترقى والازدهار ؟ ؟

أنظمة تجعل الحياة فى المجتمع دون الحياة فى الغابة فإن الطيور تغادر أعشاشها سعياً وراء رزقها فتغدو خماصاً وتروح بطاناً فنتيجة سعيها تكون مكفولة فكيف الحال فى مجتمعات يرهق العامل فيها نصباً ويقضى حرماناً .؟ أجل . . قد تكون آجال الحيوانات فى الآجام مرهونة بجوع السباع وشبعها ، أفتحسب الحياة فى بعض ربوع الشرق أفضل من ذلك ؟ لا تزال هناك أمم تعطى حق الحياة لكبارها أولا . . ثم لصغارها ما عنت وجوههم لهؤلاء الكبار وما استغنى الكبار عن افتراس هؤلاء الصغار . وإلا فالحكم للسيف والنار ، ولمن يملك السيف والنار .

آفات هى علة العلل

البيئة الحرة الكريمة هى التى تعيش فى حضانتها الإنسانية الصحيحة ، وهى التى ينتظر منها أن تنبت النفوس القوية والعقول الذكية والأجسام الفتية . ولن تجد جراثيم الهوان المادى والأدبى بقاء لها فى مثل هذه البيئة ، ففى الجو الصحو والأرض المشمسة تموت الديدان وتنقرض الأوبئة .

لكن الاسترقاق السياسى والاقتصادى عدو البشرية الأول وسرطان الأمم المعذبة . وفى ليله الطويل لا تلمح العقول أشعة المعرفة ولا تدرى الطباع معنى الكرامة ولا تشرب النفوس حب الخير . وأنت إذ تبحث جاهداً عن الفرد الذى تعلم فى الغرب فاخترع . أو الذى انتخب حاكمه ثم جاء دوره هو فحكم ، إذ تبحث عن هذا الفرد فى ظل الاسترقاق

السياسى والاقتصادى تجده تائها كاسف البال يحسب أن وظيفته فى الحياة لا تعدو العيش على هامش الفلاحة فى أرض ملكته ولم يملكها ، أو الاحتراف فى أشغال بدائية لا تدر إلا الكفاف .

ويسند هذا الهوان تدين فاسد خرج من الأرض ولم ينزل من السماء وليته خرج من أرض نقية فكان فكراً سليما بل خرج من أرض سبخة فكان عبثا رجيما .

هذا التدين المكذوب على الله عز وجل كانت مهمته أن يخفف من وقع الاستبداد السياسى والطغيان الرأسمالى على نفوس المظلومين والمحرومين . حتى شاع بين الكثيرين أن الدين مخدر للشعوب . وليس أبعد عن الصدق من هذه المقالة الجائرة . على أن الدين — وقد أصيب بهذه التهمة لأسباب شتى — بحاجة إلى من يمسح عنه عاره ويرد إليه اعتباره ويصيح فى المشرقين والمغربين إن الدين عون الشعوب على نيل حقوقها وكسر خصومها وحفظ حرياتها وضمان كراماتها .

بلى . . . ونحن موقنون بأنه فى الوطن المغلوب على أمره ، المنهوب خيره ، الممتهن أهله ، لا عمل للدين أولا إلا رد الحقوق ومنع العقوق وكسر شوكة المعتدين وإذلال كبرياء الظالمين .

إن الاستبداد السياسى والافتيات الرأسمالى والتدين الصناعى آفات قديمة فى الشرق .

وإنها لسفالة لا قرار لها . . . أن يسخر الإسلام فى إبقاء هذه الآفات ، إن بعض الجماعات المتدينة تحسب أن قوام الدين هو الإيمان بالغيب واليقين فى الآخرة والعبادات الخاشعة والتعاليم الروحانية . . . وطائفة أخرى من الأحوال الشخصية والأحكام الفردية المحددة . . وهى تنشط لخدمة الدين فى هذه الدائرة الضيقة ولو نجحت فى بلوغ أهدافها هذه مع بقاء الديكتاتورية السياسية والرأسمالية الاقتصادية فإن نجاحها والفشل سواء . وسيظل الدين تعاليم فى ورق ورقماً على الماء . ما بقيت الفرعونية الحاكمة والقارونية الكانزة تفسد فى الأرض وتسفك الدماء .

كيف ينظرون إلينا ؟

لئن كانت الفوضى الاقتصادية قد صدعت البناء الاجتماعى للإسلام كدين عام ، وشوهت حقائقه الأولى فى عقول أبنائه وقلوبهم كعقيدة خاصة فقد أصابت كذلك الوضع السياسى للمسلمين بما جعلهم أعجوبة فى العالمين . .

وإنك لتستطيع أن ترى مصداق ذلك فيما تقرأ وتسمع كل يوم مما يصيبنا فى محافل العالم الكبرى ، وقد كنا نرجو — وخصومنا كثير — أن يدور الصراع بيننا وبينهم على أسس من الاحترام المتبادل . . أجل فقد يكون لك عدو تكرهك مواهبه على تقديره . وقد يكون لك صديق تكرهك تفاهته على تصغيره ! ! فأين — ياترى — ينزلنا العالم فيما ينشب بيننا وبين غيرنا من خلاف ؟

أنقل هنا كلمة كتبت على هامش السياسة الخارجية بصحيفة يومية وفيها الجواب على هذا السؤال :

« إن الشرق الأوسط ما زال موضع ازدراء الأمم الراقية رغم غناه بالمواد الأولية الهامة ، ورغم مركزه الممتاز فى عالم التجارة ، وسبب ازدرائه أن الحكومات فى الجزء الأكبر من رقعة الشرق لا تهتم بمشروعات الإصلاح الفعالة المنتجة قدر اهتمامها بالمشروعات التى تعود على الأقطاب بدعاية كبيرة أو شهرة واسعة أو نفوذ متسع النطاق ، أما التعليم والرى وإنشاء خزانات المياه لوقت القحط والانتقال من زراعة المطر إلى زراعة الآبار ومشروعات توليد الكهرباء وصناعة الأسمدة فإنها ما زالت تدرس منذ عشرات السنين ثم توضع على الرف ثم يعاد درسها ونفض الغبار عنها لتعود مرة أخرى إلى الرف ، وهكذا حتى يئس العالم الشرقى من كل دعاية تذاع أو تكتب فى الصحف حول مكافحة الجهل والمرض والأمية والحفاء ! !

ومن أعجب الأمور أن للشرق الأوسط مركزاً استراتيجياً ممتازاً ، ففى رقعته تقع أكبر الموانىء والمطارات وسكك الحديد الضرورية لأى دفاع أو هجوم ، والدول الغربية مقبلة على صراع رهيب سيكون لهذه المرافق فيه دور خطير ، فهل استفدنا من هذا المركز الممتاز ؟ والجواب على ذلك هو : كلا ، وسبب هذا المركز الضعيف أننا مختلفون فيما بيننا على أمور ثانوية تاركين الدول الاستعمارية تستغل مواردنا الاقتصادية وقواعدنا الحربية وطرق مواصلاتنا ومطاراتنا وموانئنا بدون أجر أو ثمن معقول ، بل بدون أى ميزة كبيرة نستفيد بها فى معالجة تأخرنا الاقتصادى والاجتماعى الحالى ، وإلى جوارنا دولة ضعيفة ناشئة مؤلفة من مليون ونصف مليون نسمة — هى إسرائيل — فرضت على أسطول بريطانيا أن يخرج من قاعدة حيفا فأخرجته ، وفرضت على السلاح الجوى البريطانى أن يخرج من مطار اللد وغيره من المطارات الفرعية الأخرى فخرج ، وفرضت على الجيش البرى البريطانى أن يخرج من معسكرات صرفند وعكا وغزة وحيفا وغيرها فخرج ، أما الدول العربية التى تمثل خمسين مليوناً فإنها مازالت متفرقة مختلفة ، ولهذا تعجز عن إخراج القوات البريطانية من مطار الحبانية فى العراق ، ومن قواعدها فى شرق الأردن ، ومن منطقة قايد !!

بل أعجب من هذا كله أن لنا فى بنك بريطانيا نحو ٣٠٠ مليون من الأرصدة لا نعرف كيف نستردها منها ونطالبها قطرة بعد قطرة كأننا نسألها إحساناً ، أما إسرائيل فقد عقدت مع بريطانيا اتفاقاً يسهل لها سبيل الحصول على أرصدتها الاسترلينية ، رغم أن مصر أهم لبريطانيا بمواردها ومركزها الحربى من إسرائيل !!

بل هذه هى مسألة السودان والانجليز يعاملوننا فيه معاملة الأجانب بينما يفرضون على أشقائنا سكان الجنوب أن يعاملوا الانجليزى معاملة

الوثنى لأصنامه ، ويحرمون عليه امتيازات يبيحونها للانجليزى ، بل يمنعونه من دخول أماكن يدخلها سادته الانجليز ، ويزرع البريطانيون فى الجزيرة قطناً ينافسون قطننا به ، ومع ذلك فإننا مازلنا نرفض الاتجار مع دولة كبيرة أخرى ، ومازلنا نعتمد فى بيع قطننا على لانكشير !! .

هنا وهناك

إننى أجزم بأن الأنظمة الاقتصادية السائدة فى الغرب تعتمد فى بقائها على قبول الشعوب لها واطمئنانها إليها . ولو أنها كانت خالية من المزايا التى تجعلها كذلك : لسقطت من زمان بعيد . فإن المرتبة التى وصلت إليها حقوق الإنسان وحريات الشعوب فى هذه البلاد ، لاتسمح لنظام ما أن يبقى طويلا برغم أنف الذين يعيشون فى ظله ، على عكس الحال عندنا ، فإن الناس كثيراً ماتكون قلوبهم ضد الحكومات ، ولكن أعمالهم معها ، وقديما قيل : الناس قلوبهم مع الحسين وسيوفهم مع أعدائه !

وتلك الحال المنكرة هى بعض آثار البطش السياسى الذى سادنا فى القرون الوسطى ، ولا تزال بقاياه تترك فى نفوس الجماهير الاستكانة ، وتطبع الرأى العام فى أغلب أطوار يقظته ، بطابع الانكار القلبى أو الاستنكار السلبى فقط . . . لما يؤلمه !

ومهما اختلفت المذاهب الاقتصادية المنتشرة فى الغرب ، وتنوعت إلى رأسمالية أو اشتراكية أو شيوعية فإن هناك عاملا مشتركا بين هذه المذاهب كلها يجعل أصحابها يتمسكون بها ، أو لايرون بأساً من الإبقاء عليها ، وهذا العامل مفقود فى الأحوال الاقتصادية التى تقوم بيننا . وتستطيع أن تجد وجوهاً من الشبه القريب بين الحياة فى روسيا الشيوعية والحياة فى أمريكا الرأسمالية ! على حين تجد الصلة واهية أو مبتوتة بين الرأسمالية فى أمريكا والرأسمالية فى الشرق الإسلامى وغير الإسلامى ،

ففى أمريكا — كما فى روسيا — لايعرف هذا الركام الغليظ من الجهل والفقر والمرض ولا توجد البيئة التى تخلق الرذائل خلقا وتطرد الفضائل طرداً ، وهناك لاتقيم الفوارق الآثمة أى فاصـــل بين طبقات الأمة الواحدة ، بل إن رئيس الولايات المتحدة جاء من طبقة الشعب التى جاء منها رئيس جمهوريات الاتحاد السوفيتى . أما فى مصر والهند والحجاز والعراق فالأمور تجرى على النحو الذى أسلفناه ، ولا يجوز أن نقارن بين رأسمالية الشرق ورأسمالية الغرب فإن البون شاسع والمسافة بعيدة . إن الأحوال الاقتصادية لاتزال فى الشرق تحمل طابع عهود الإقطاع ، ولا تزال المعاملة بين مواطن ومواطن مثله ، كالمعاملة بين الإنجليز والهنود أو بين الأمريكان والزنوج ! !

والإسلام لايؤيد نظاما اقتصادياً بعينه ، ولا يخاصم نظاماً اقتصادياً بعينه ، إنما يحارب ويسالم ما يكون من النظم بحسب ما يتولد منها وماينشأ عنها وما يصيب الشعوب من خيرها أو شرها .

إن الدين كالنسيج الخام ، يلبس الناس منه مايحفظ أجسامهم ويزين هيئاتهم ، وقد تختلف طرائقهم فى كيفية التفصيل وأسباب التزين ولكن لايجوز على كل حال أن يعروا عنه .

والأنظمة الاقتصادية العـامة قد تختلف نظراتها وتقديراتها لمصالح الجماعة ، غير أن ذلك لايعنى أن نطرح الدين جانباً ! فما قيمة الإنسانية إذا جحدت ربها وتمردت على خالقها ؟ ؟ يجب أن ننتفع بالدين فى بناء أمة تتوافر فيها التربية النفسية العميقة ، والعدالة الاجتماعية الشاملة ، والديمقراطية السياسية المنظمة ، وبذلك وحده يأخذ الشرق الإسلامى طريقه إلى الحياة .

كلمة الختام

للثقافة جيش غير منظور ، يصل إلى أهدافه المرسومة فى سكينة وسلام .

وإنى أود أن أسلح القارىء الكريم بهذه الأفكار ، وأملى ألا يقف عند حدود المطالعة العابرة ... ثم الموافقة الباسمة ...

فإن من الثقافات ما نعده ترفا عقليا ويكون حسب القارىء منه أن يقف هذا الموقف ...

أما إذا تعلق الأمر بحقيقة دين كالإسلام ومستقبل أمة زحمت التاريخ وشغلته قديما وحديثا كالمسلمين فالأمر أخطر مما نتصور !

هو عندئذ ضرورة مادية وأدبية تجعل من القارىء شريكا للمؤلف ، وتحشدهما معا لخدمة قضية مشتركة ، يتقاسمان جميعا أعباءها وتبعاتها !!

فلعل الذين يقرأون معى ، يقومون بهذا الحق ويمدون شعاع الفكرة ويشاركون فى إبلاغها الغاية ؟

محمد الغزالى
الواعظ